

ابن الحداد الوادي أشي شاعر المعتصم بن صمادح

د. عدنان محمد آل طعمة
كلية الآداب / جامعة أهل البيت

المستخلص :

من المفيد جدا للباحث في الأدب الأندلسي ان يلقي الضوء على معالم الحياة الثقافية في الأندلس ابان فترة الحروب الداخلية والصراعات الإقليمية داخل المجتمع الأندلسي واغتراب الشعر ؛ وتنقل الشعراء من مكان الى اخر وهجرة العلماء الى المشرق الإسلامي اتقاء الفتنة وطلباً للجوء والامان وهذا لايتضح الا من دراسة كل شاعر لوحده منفردا ووفقا لظروفه الخاصة وخارج معطيات الضغوط السياسية التي يوقعها الحكام احيانا على صنف من هؤلاء الشعراء والكتاب . لذا يكون من الصواب متابعة حركة الشعراء ورحلاتهم عبر المجهول لتحقيق بعض طموحاتهم وسلامتهم. وهذا ما حصل مع الشاعر اذ تم الكشف في هذا البحث عن كل مما تقدم مع توغل ولو محدود في الجانب الفني. بعد استعراض حياة ابن الحداد الوادي اشبي وادبه وقد تضمن مقدمة ومبحث تاريخي وادبي وفني استطعنا ان نجمع موارد البحث من مصادر مختلفة مخطوطة ومطبوعة بقدر ما وصلت اليه ايدينا ؛ وبقدر ما يناسب البحث ، فقد سلطنا الضوء على هيكلية ومضمونه على الشكل الخارجي منه ، وعلى طرازه الداخلي ، وبهذا فاننا قدمنا دراسة برانية عن الشاعر وجوانية عن الطاقة المخزونة لديه وعن نتاجه .

Abstract:

It is very necessary for a researcher in Andalusian literature to shed light on the features of cultural life in Andalusia during the period of civil wars and territorial conflicts inside the Andalusian community and the estrangement of poetry and the poet's moving from place to another and scholars' immigration to the Islamic east to seek protection and safety, these aspects are not clarified unless every poet is being studied alone according to his own circumstances regardless of the political pressures practiced sometimes by rulers on certain poets and writers. Thus, it is right to follow the poets' moves and travels through the unknown to achieve some of their ambitions and security. And this is what happened with the poet subject to study; all the above mentioned details have been uncovered with a limited penetration in the artistic aspect. After exhibiting Ibn Al-Hadad Al-Wadfi's life and literature, the research included an introduction and a historical, literary and artistic survey, we managed to collect the research material from different sources that we managed to collect (manuscripts as well as material). A light has been shed on the structure as well as the contents of his output.

المقدمة :

يقف الادب الأندلسي شامخا في النسيج الابداعي للادب العربي فكانما هرب العربي باشتعالته صوب طبيعة اخرى فاتت تجربة جديدة بما احتوته من عناصر جديدة مضافا الى المتن الابداعي العربي . ومن هذا يكون وقوفنا مع الشاعر (محمد بن محمد بن احمد بن عثمان القيسي النميري – الملقب بابن الحداد جزءا من محاولة بالتراث العربي الممتد بامتداد لغتنا وهي تحفز اثرها بعيدا في احاديث الحضارة الانسانية . يتوفر بحثنا هذا على مقاربة تاريخية – لابد منها – للوقوف على حياة الشاعر وما يحيط بانتاجه من ظروف متنوعة وبيئات سياسية وجغرافية وحياتية متنوعة . فضلا عن استعراض شامل لنماذج من شعره في معظم الاغراض الرائجة في عصره . ثم ختمنا بحثنا هذا بقائمة المصادر والمراجع مسبوقة بخاتمة قصيرة عن سير البحث واهم التوصلات . في هذه الدراسة استعرضنا كافة المصادر والمراجع التي وقعت بين ايدينا المخطوطة منها والمطبوعة ، استقيننا منها كل المعلومات المفيدة لنا المتعلقة بالشاعر ابتداء من ولادته ونشأته وتعليمه ورحلاته كذلك تناولنا قصة نويرة الفتاة النصرانية التي تعلق بها ؛ وهي كما يبدو كانت مصرية اذ ان ابن الحداد قد شاهدها اثناء رحلته الى الديار المقدسة ، واقام عندها مدة لا يبرح المكان حتى صرفته عنها ، وقد صب كل طاقته الادبية فيها . وما قيل فيها تخرج العلماء والادباء والمؤرخون من ذكره جميعا ؛ وربما لم يروه الشاعر للناس وبالتالي فانه حينما عاد الى الأندلس ترك كل عواطفه وذكرياته هناك وبدا حياته من جديد في ظل محمد بن معن بن صمادح امير المرية الذي جعل بلاطه ناديا للادباء والشعراء والكتاب وحينما يذكرون اعضاء هذا النادي ياتي محمد بن احمد بن الحداد كابرز شاعر لهذا الامير الاديبي ؛ وحيانا يبدو لنا كالمتمنبي وسيف الدولة مضافا الى محمد بن عباد القزاز ، وابن الشهيد وغيرهما وان عصر ابن صمادح قريب الشبه بعصر المتنبي في بلاط سيف الدولة ؛ ولم يكن لدى امير المرية هم سوى بناء القصور وبناء اساطيله البحرية وتطويرها وتقريب الشعراء والادباء لانهم وسيلة الدعاية في ذلك الزمن ؛ فكان يسعى دائما في ايجاد فسحة من المودة والسلام بين دول الطوائف وبين دولته ، فكان عصره مزدهرا ، وعصر نهضة وحضارة اسلامية بينة مما اطمع يوسف بن ناشفين ان يغزو بلادهم وكذلك الفونسو السادس ملك قشتالة حينما وجدهم مسالمين يستمرعون الدعة والراحة والاستجمام

وقد شغلته الحياة الناعمة وابن الحداد كان صورة واضحة لهذا العصر الذي قد هوت عروشهُ وسقطت تيجانه بعد رحيله بيضعة سنوات فكان هذا البحث المتواضع .

المبحث الأول : " دراسة تاريخية "

اسمه : محمد بن محمد بن احمد بن عثمان القيسي النميري* ؛ وكنيته ابو عبد الله . شاعر ، كاتب ، واديب . وموسيقي .^(١) اصله من وادي اش Acci Gudix^(٢) وكان يلقب بـ (مازن)^(٣) هذه بطاقته الشخصية ، لانعرف على وجه الدقة ابن ومتى ولد ؟ لا الزمان ولا المكان الذي ولد فيه . هل ولد في وادي اش عند اهل ابيه ام عند عائلة والدته في سرقسطة ؛ كل المصادر الاندلسية تكتمت على هذا البيان كما انها لم تزودنا باخبار شاعرنا هذا ومكوناته الثقافية الاولى ؛ وبواكير حياته ، وطفولته كيف قضاها . والمصدر الوحيد الذي يزودنا بمعلومات واضحة الى حد ما عن عائلته وحياته الاجتماعية والثقافية هو ابن عبد الملك المراكشي^(٤) ؛ اذ يذكر لنا ان امه هي اخت القاضي ابي عمر احمد بن محمد بن يحيى القرطبي م/ ٤٦٧^(٥) هـ المعروف بابن الحذاء وهذا يعني ان ابن الحداد قد ولد في عائلة علمية معروفة ؛ وان جده لأمه هو القاضي ابو عبد الله محمد بن يحيى القرطبي م/ ٤١٦ هـ في سرقسطة . صاحب التاليف المشهورة والذي خرج عن موطنه ابان الفتنة التي حدثت في قرطبة باستيلاء الحمويين عليها واسقاط الدولة الاموية مع خروج عدد كبير من اهلها ومن بينهم العلماء ، والكتاب والشعراء ؛ حيث قضى هذا الرجل نحبه في سرقسطة في التاريخ المذكور . واول ما درس ابن الحداد في طفولته المبكرة كان على يد خاله المذكور ؛ ويمكننا معرفة المواد التي درسها وهي علوم العربية والفقه والحديث اذ ان خاله هذا كان قد كتب بخطه مختصرا للعين من تاليف ابي بكر الزبيدي في اربعين يوما ؛ وهذا يعني ايضا ان ولع ابن الحذاء الخال كان في اللسانيات قد اورثه لابن اخته وعن هذا الاخير قد اخذ بعض علماء الاندلس علوم العربية واللغة مثل عبد الله بن عوف ؛ وابي عبد الله محمد بن احمد بن سليمان المعروف بابن الصفار وقد اشار ابن عبد الملك الى اسماء عدد من الاشخاص الذين درسوا على ابن الحداد هذه العلوم^٦ وتذكر لنا المصادر الادبية ان ابن الحداد لم يقم كثيرا في سرقسطة بل رحل في شبابه الى المرية ، ويمكننا معرفة السبب الذي ادى به الى الانتقال الى هذه المدينة الواقعة على البحر الابيض المتوسط ، ذلك ان خاله قد هاجر الى هناك وعاش فيها مدة من الزمن اضافة الى وجود بعض العلماء الكبار المبرزين في تلك الحقبة كانوا قد هاجروا اليها للظروف القاهرة التي ارغمتهم على السفر الى هذه المدينة من امثال : ابن حزم الظاهري ؛ وابن الدلائلي الجغرافي ؛ وابن ابي الفيض المؤرخ ، والحميدي صاحب جذوة المقتبس الجغرافي الذي ترك الاندلس وذهب الى بغداد وعاش فيها حتى وفاته وغيرهم كثير ؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ؛ هل التقى بهم ابن الحداد كلهم واخذ عليهم او سمع منهم او على الاقل تبادل المعلومات معهم فهذا غير بعيد البتة . ومن بين المعلومات الواردة اليها من شذرات الاخبار التي تخص شاعرنا ان طموحات الشباب نحو الرحلة في طلب العلم لا تقف عند حد معلوم ولا تشبع طالبا منهوم ، لهذا فقد قرر ابن الحداد وهو في سن الفتوة والشباب والرجولة ان يشد رحاله نحو المشرق الاسلامي ليشبع رغبته الجامعة في العلم ويلتقي بالعلماء في حواضر العلم بالقيروان والقاهرة ودمشق وحلب وبغداد ويذهب صوب مكة ليحج ويدرس على المجاورين لها وهم ليسوا مغمورين بل اعلام الاسلام وجيران الله . وقد فعل اسلافه قبل ذلك فقد استطاع جده ان يلتقي بعلماء مشهورين وياخذ عليهم ؛ ويجلب الكتب والمدونات المشهورة ؛ ولم يكن الحج وزيارة بيت الله وحده هو الدافع وراء هذه الرحلة وزيارة المدينة المشرفة بقبر صاحبها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بل كانت الرغبة في السفر للاطلاع على معالم المدن التي يمر بها والاقدار التي تجتذبه اليها فقد سافر وكله شوق الى المعرفة واكتشاف الذات ، وقد دفعته النفس والروح الى لقاء على غير موعد بشابة سمراء تتدفق حيوية ونشاطا سمراء من قوم عيسى مسيحية العقيدة عروبية الهوى ؛ نويرية الأشواق والوجد . نزل بازاءها ابن الحداد في منطقة شمال أسبوط تدعى ريفا ؛ كانت هذه الشابة رائعة الجمال بالغة التالوق ؛ خفيفة الروح ؛ تسكن بالقرب من الدير المذكور على الضفة الشرقية من نهر النيل ، كادت ان تؤدي به ليتخذها وطنا ، التقى الشاعر بها بين مدينتي قوص وعيذاب في طريقه الى مكة عبر البحر الاحمر على الجانب الغربي من الجبل؛ قال ابن فضل الله العمري : فرأى ديرانية اسمها نويرة كانما انكاهها في قلبه نظرها وشبهها في جوانحه من خدودها المحمرة نضرها ؛ فالقى عندها عصا سفره ولقى عندها منتهى ما يؤمل من ظفره ، وترك الحج كانه ما تغنى له من اقصى بلاده ولا نوى اليه السفر براحلته وزاده ؛ وقال فيها

ورأت جفونني من نويرة كأسمها
والماء أنت ولا يصح لِقَابِضِ

نارا تَضِلُّ وَكُلُّ نَارٍ تَرشُدُ
والنارُ أنتِ وفي الحشا تَتوقَّدُ

فلما طال مقامه وقفت عليه وسألت عن سبب اقامته فقص عليها الخبر ونص العبر واعلمها انه اتى ليحج ؛ فلما راها امامه وتطلب ما يعالج السقام قامت متباطئة ووثبت كالظبية العاطية وظنت انه لم يصب وانه مذلها شركه ونصب ، فلما راى ما راب من سفورها واعراض طبعها الاذماء ، وسرعة نفورها اسال عبرته ووالى حسرته ثم قال :

تسائل الركب عن اجسادها القمم كانها فوق
محلوقاتها لـمـم
عقبى عصاة ابن معن هذه النقم^{١٧}

مواثلا في سبيل الركب تحسيها
وقد تلم بها الغربان واقعة
صوامت نطق في الهيئات قابلة

ومنها :

عن ان يسلم حسام او تراق دم^{١٨}
كان لحظك فيه صارم خذم
وجدت حيث المنايا السود تزدحم
الا وسيفك كعب الجود او هرم

تكاد تغنى اذا شاهدت معتركا
بلحظة منك تنني القرن منعقرا
اقدمت حيث الكمأة الشوس محجمة
وما احتدى الموت نفسامن نفوسهم

ولعل اشهر قصيدة قالها في المعتصم بن صمادح الهمزية التي مطلعها :

(من الطويل)

فكالعنبر الهندي ما أنا واطيئ
فروح الهوى بين الجوانح ناشئ
وعلمي دأ ماء* ونطقي شاطئ
هداة حداء والنجوم طوافئ
عرايي وأوحى سيرها المتباطئ

لعلك بالوادي المقدس شاطئ
واني في ريك واجد ريحهم
لالاي الا ان فكري غائص
ولي في السرى من نارهم ومنارهم
لذلك ما حنت ركابي ومحمت

ومنها :

لما برحت اصداقهن اللالئ
واعشى الحجي لالاؤه المتألئ
وتنقلب الافكار وهي خواسئ^{١٩}
وقد طار صيتها في كل مكان ؛
وطبقت شهرتها الافاق ؛ فقد وقف النقاد منها بين معجب بها ومنتقد لها ؛
وردد هو على بعض منتقديه في قصيدة زائفة حيث غمزه بعض ادباء العصر في مجلس المعتصم بن صمادح فقال :

ولولا علا الملك ابن معن محمد
فتجاوز حد الوهم واللحظ والمنى
فتنعكس الابصار وهي حواسر

(من الطويل)

وان قناتي لاتلين على الغمز
مبينة الاعجاز ملزمة العجز
وويل بها ويل لذي الهمز واللمز
ومن لمس الافعى شكا الم النكز
فقد عرفت اكبادهم صحة الهمز

عجبت لعمازين علمي بجهلهم
تجلت لهم ايات فهمي ومنطقي
ولاحت لهم همزية او حديئة
رموها بنقص بينت فيه نقصهم
وان انكرت افهامهم بعض همزها

وبهذا بين ابيات الاعجاز البلاغي فيها وأشار الى عجز منتقديه ان ياتوا بمثلها
• ففي البيت الاول عبر الشاعر عن القوة والصلابة التي يتمتع بها ، فعزيمته شديدة لاترخى ولاتلين فهي كالقناة لاتتكسر فكنى عن
هذه الروح الصعبة المراس بالقناة .

• وفي البيت الثاني فيه جناس بين الاعجاز والعجز (مبينة الاعجاز ملزمة العجز)
• وفي البيت الثالث اوضح ان همزيته اوحديئة لاشبيه لها ولن يستطع احد ان ينالها من قريب او بعيد . وان كان من رماها بنقص ؛
فويل له من هذه الهمزية ، وضرب مثلا بنفسه وشبهها بالافعى السامة ، ومن لمس الافعى شكا سمها القاتل .

• وفي البيت الاخير فيه طباق وجناس في انكرت افهامهم ، وعرفت اكبادهم ، وبعض همزها وصحة الهمز ، كما اشار في قصيدته
هذه الى الاية القرآنية التي اقتبسها من سورة الهمزة "ويل لكل همزة لمزة" * قال ابن بسام : ان القصيدة الهمزية قالها سنة ٤٥٥ هـ
حينما كان ملازما لابن صمادح فهو من حين لأخر يجد مناسبة واخرى ليصف ابيات العظمة في بلاط المعتصم لكي يمدحه ويثني
عليه . كان ابن الحداد يتطلع الى تلك القصور التي بناها مخدومه فكان يعدها جنة الدنيا برياضها النضرة وأشجارها الباسقة وقبابها
العالية ؛ فلا يضاهاها قصر غمدان في اليمن ولا يشبهه سيف بن ذي يزن ؛ فمثل هؤلاء الامراء قد وردت اسماؤهم واخبارهم في
الاساطير والحكايات لكن ابن معن حاضر امام العيان وشاهد حي لاتخطئه الابصار ؛ ولا يحتاج الى رواية فان الرواية غالبا ما
تخضع الى الشك والريبة .

(من الكامل)

فالقلب في تلك القباب رهين
وجه به ماء الجمال معين

دعني اسر بين الاسنة والطبا
فلعله يروي صداي بلحظة

انْتِ الهوى لكن سلوانَ الهوى
فالحسن اجمع ما يريك عِيَانُهُ
والروضُ ما اشتملت عليه سُهُولُهُ
قصر تبيّنت القُصورُ قصورَها
هو جنة الدنيا تَبَوَّأَ ظِلَّهَا
فمن ابن ذي يزن وما عمدانُهُ
راس بحيث النون الا انه
فكانما الرَّحمن عجله له
وكان بانويه سنمارةً فما
وجزاؤه فيه خلاف جزائه

• قال علي بن منجب الصيرفي : ومحمد بن عثمان من المكثرين المبدعين ، والمتعرفين المتوسعين ؛ ومن مليح تشبهاته^{٢٣} :

(من الكامل)

وكأنها موصولة الاشيطان
وبل الحيا في مائج الغدران

والسمر من قلب القلوب مواتح
والنبل في حلق الدلاص كأنها

وقوله ايضا :

(من الكامل)

حبيب ومن خضر الصوارم عرمض
ومن العجائب ان يحب المبعض

وفويق ذاك الماء من شهب القنا
اهواهم وان استمرقلاهم

• وقال العماد في الخريدة : سألت القاضي الفاضل عنه وقوله حجة ، فقال : كان في الصمادحية وهو اديب فاضل وله القصيدتان المهموزيتان ؛ وكل واحدة أكثر من مائة بيت وليس في الغرب اشعر منه . وجدت له في مجموع من قصيدة في صمادح : لعلك بالوادي المقدس شاطئ^{٢٤}

• وقد ذكر ابن الخطيب انه سكن غرناطة مدة ؛ ومن بناء عملها وطنه رحمه الله . كما اورد لنا مؤرخ غرناطة الوزير لسان الدين ان ابن الحداد كان ظريفا ويبدو انه كان يتقن الضرب على الالات الموسيقية ؛ وكان له مجلس وصادف انه فقد سكنا عزيزا عليه واحوجت الحال الى تكلف سلوى فلما حضره ندماؤه ؛ وكان قد رصد الخسوف بالقمر اخذ العود وغنى :

(من المتقارب)

وتشرق يا بدرُ من بعده
حدادا لبست على فقده

شقيقك غُيب في لحده
فهلا حُسِفَت وكان الخسوف

واخذ يردد ما مررت حتى خسف القمر ، وعظم على الحاضرين التعجب .^{٢٥} كما اورد ابن الخطيب قصيدة طائية يذكر فيها المرية وساكنيها قدم لها بمقدمة غزلية قال فيها :

(من الكامل)

ويُرين في حلال الوارشين القطا
أن يرتعى حبّ القلوب ويلقُطا
ميلا يخيف قدودها ان تسقطا
لمهفهف سكن الحسا والمسقطا
يختال والخوط النضير اذا خطا

اقبلن في الحَبَرَات يَقْصُرْنَ الخُطَا
سرب الجوي لا الجو عود حسنه
مالت معاطفهن من سكر الصبا
وبمسقط العلمين اوضح معلم
ما اخجل البدرَ المنير اذا مشى

ومنها في المدح :

اكرمتما خيل الوفادة فاربطا
وورتما ارض المرية فاحظتا
ويذل عز العالمين اذا سطا^{٢٦}

يا وافدي شرق البلاد وغربها
ورايتما ملك البرية فاهننا
بدمي نحور الدارعين اذا ارتاى

وفي شعر ابن الحداد وصف للمعارك الحربية التي كان يخوضها المعتصم بن صمادح ؛ فقد كان المعتصم يمتلك اسطولا بحريا قويا وممتازا ، يشار اليه في تاريخ البحرية الاسلامية ؛ كان يقف بقوة امام هجمات الروم والنورمانديين ، كانت سفن المعتصم تقذف حمما من النار على قوات الاعداء فتجعلهم رمادا ؛ وقد وصف ابن الأبار هذا الاسطول وقد خطت احدى سفنه على الماء في حالة مداورتها واثناء مناورتها شكل الالف والصاد رمزا للمعتصم .

(من الخفيف)

أَنْ سَمَتَ نَحْوَهُمْ لَهَا أَجْيَادُ
دَابَّهَا مَثَلُ خَائِفِيهَا سُهَادُ

سامٍ صرف الردى بهام الاعادي
وَوَرَّأَتْ بِشْرِ عِهَا كَعِيُونِ

ذات هذب من المجاديف حاك
حمم فوقها من البيض نارا
ومن الخط في يدي كل ذمير

هدب باكي لدمعه اسعاد
كل من ارسلت عليه رماد
ألف خطها على البحر صاد^{٢٢}

٠ بقي ابن الحداد صديقا ملازما لامير المرية المعتصم بن صمادح حتى حدثت نفرة بينهما بسبب اعتقال المعتصم شقيق ابن الحداد ، بسبب هذا الحادث ترك الشاعر المرية وذهب الى سرقسطة عند المقتدرين هور ومدحه فآكرمه الاخير لشهرته ومنزلته الثقافية ، وخلال المدة التي قضاها الشاعر في بلاط المقتدر حدثت مناوشات ومعارك بين اميرها وابن رذمير استطاع ابن هود ان يسجل انتصارا على عدوه في هذه المعارك ويفتح بعض حصونه وكان ذلك سنة ٤٦٢ هـ ؛ فكانت مناسبة مشجعة لكي ينظم قصيدة يصف فيها ابا الحداد في هذا الانتصار الذي احرزه المقتدر وهو انتصار الاسلام على المسيحية حيث عطل الانجيل واطرح الفصح :
(من الطويل)

مَصَاوِكُ مضمونٌ له النصرُ والفتحُ
اذا كان سعيُّ المرءِ لله وحده
بك اقتدح الاسلام زَند انتصاره
وجلى ظلام الكفر منك بغرة
فهم ذهلوا عن شرعهم وحدودِهِ

وسَعِيكَ مقرونٌ به اليُمْنُ والنَجْحُ
تداننت أقاصي ما نجاه وما ينحو
وببيضك نارٌ شَبها ذلك القُدْحُ
هي الشمس والهندي يقدمها الصبْحُ
فقد عَطَل الانجيل واطرح الفصح^{٢٣}

وهنا ايضا يشيد بالسلم والصلح الذي تم بين المقتدر بن هود واخيه المظفر ؛ ثم يتصل بولي العهد المؤتمن بن هود بمدحه ويثني عليه ويشيد بانتصاره على العدو وتدميره عند حصن المدور :

(من الطويل)

مَساعِيكَ في نحر العدو سهامٌ
ولمحك يُردى القرن وهو مدجج
كانك لا
ترضى البسيطة منزلاً

ورأيك في هام الضلال حُسامٌ وذكرك يثني
الجيش وهو لهام
اذا لم يُظن به عليك قتام

وفيهما

كانك خلعت الشمس خوداً فلم يزل
وقد يحسبون السلم منك سلاماً

يُقنعها بالنقع منك لثامٌ
ورُب منامٍ دب فيه حمامٌ^{٢٤}

خلال وجوده في سرقسطة عاصمة بني هود كان يحن الى المرية ويبعث بباقات الشوق الى اميرها بطرفه فقد اورد لنا ابن خاقان مقطوعة بعث بها ابن الحداد الى المرية من تدمر يقول فيها :

(من البسيط)

يا غائبا خطرنا القلب محضرة
تركت قلبي واشواقي تقطره
لو كنت تبصر في تدمير حالتنا
فالعين دونك لا تحلى بلذتها
اخفي اشتياقي وما أطويه من اسف

الصبر بعدك شبيء لسنت أقدره
ودمع عيني وأحداقي تحدره
اذن لأ شفتت مما كنت تبصره
والدهر بعدك لا يصفو تكدره
على المرية والانفاس تظهره^{٢٥}

وهذه الرسالة التي بعثها وهو عند بني هود لها دلالة واضحة وشوق اكيد بالعودة الى ابن صمادح خلال وجوده في سرقسطة عاصمة بني هود ؛ وكان يحن الى المرية ويبعث بباقات الشوق الى اميرها بطرفه كما كان يفعل المنتبني مع سيف الدولة لكن كان مختلفا تماما عن ابن صمادح لم يعد المنتبني الى حلب لم يقدم المنتبني اسفه لسيف الدولة لكن ابن الحداد قدم اعتذاره فعاد ؛ والعود احمد ؛ لقد علم ابن صمادح باشتياق ابن الحداد اليه والى المرية فكان لابد ان يجعل سببا لعودته فاطلق اخاه من السجن فتم له ما اراد ؛ وما ان وطأت قدم ابن الحداد ارض المرية حتى رحب به اميرها وأنزله ارحب منزل وكرمه افضل تكريم واجزل له العطاء وانتهت الفرقة والمنافرة الى الابد ؛ وزال الاغتراب عن ابن الحداد . وجملة القول فقد ترك ابن الحداد شعرا كثيرا يفيض بالعاطفة والمشاعر الجياشة كما يفيض بالصور الحية والمتحركة ؛ والمشاهد الجميلة . لكن ما بقي لنا من شعره لا يمكن ان يكون ديوانا كما ذكر المؤلفون ؛ فان ابن الابار القضاعي ؛ وابن عبد الملك المراكش وغيرهم قالوا : ان ديوان ابن الحداد وقد راوه في ثلاثة اسفار كبيرة مبوبا على حروف المعجم .

واظن ان هذا الديوان الذي ذهب جله كان في جميلة (نويرة) النصرانية لهذا فقد زهد الناس فيه ولابن الحداد شعر في الزهد قاله بعد عودته من مصر ؛ وبعد ذهابه الى سرقسطة

(من الخفيف)

وكتـابـي محـدثـي وجليسي

ذهب الناس فانفرادي أنيسي

واختلالاً وكلّ خُلُقٍ بئيس
يَلتقي الحَيُّ مِنْهُ بِالمرموس^{٢٦}

صاحب قد امنّت منه ملالا
ليس في نوعه بحي ولكن

قال ابن بسام : ولما خرج من المرية قال :

(من الوافر)

فلست ارى الوزير ولا الاميرا
فعدت لفلسفياًتي سميراً^{٢٧}

لزمّت قَنَاعَتِي وقعدت عنهم
وكنّت سَمِيرَ أشعاري سفاهاً

كما ترك ابن الحداد مؤلفات عدة لغوية وعروضية ؛ جعلته في الوسط الثقافي ادبياً ، عالماً ومعلماً فقد اكسبته ثقافته المتنوعة شهرة واسعة بين العلماء والمتعلمين فقد كان شاعراً وعروضياً له باع طويل في موسيقى الشعر اوزانها وقوافيها ؛ ومن اشهر مؤلفاته هي :

- ١- المستنبت في علم الاعاريض المهمة عند العرب مما تقضيه الدوائر الاربع من الدوائر الخمس التي تنفك منها اشعار العرب .
 - ٢- الامتعاض للخليل - وهو كتاب مزج فيه الانحاء الموسيقية بصناعة العروض يرد فيه على سعيد بن فتحون السرقسطي المنبوذ بالحمار مؤلف كتاب الافعال^{٢٨} . فيما تعقبه على الخليل وانفرد به من احكام العروض . وقد اعتبر بعض مؤرخي الادب الكتابين واحدا وهما اثنان .
 - ٣- كتاب قيد الاوابد وصيد الشوارد في ايراد الشواذ والرد على الشداد .
- اما وفاته :** فقد اجمع مؤرخو الادب ان ابن الحداد توفي في الثمانينات أي سنة ٤٨٠ هـ ولم نجد رواية مغايرة او مخالفة لهذه الرواية .

الخاتمة :

من المفيد جدا للباحث في الأدب الاندلسي ان يلقي الضوء على معالم الحياة الثقافية في الاندلس ابان فترة الحروب الداخلية والصراعات الاقليمية داخل المجتمع الاندلسي واغتراب الشعر ؛ وتنقل الشعراء من مكان الى اخر وهجرة العلماء الى المشرق الاسلامي اتقاء الفتنة وطلباً للجوء والامان وهذا لا يتضح الا من دراسة كل شاعر لوحده منفرداً ووفقاً لظروفه الخاصة وخارج معطيات الضغوط السياسية التي يوقعها الحكام احيانا على صنف من هؤلاء الشعراء والكتاب . لذا يكون من الصواب متابعة حركة الشعراء ورحلاتهم عبر المجهول لتحقيق بعض طموحاتهم وسلامتهم.

وهذا ما حصل مع الشاعر اذ تم الكشف في هذا البحث عن كل مما تقدم مع توغل ولو محدود في الجانب الفني.

بعد استعراض حياة ابن الحداد الوادي اشي وادبه وقد تضمن مقدمة ومبحث تاريخي وادبي وقني استطعنا ان نجتمع موارد البحث من مصادر مختلفة مخطوطة ومطبوعة بقدر ما وصلت اليه ايدينا ؛ وبقدر ما يناسب البحث ، فقد سلطنا الضوء على هيكلته ومضمونه على الشكل الخارجي منه ، وعلى طرازه الداخلي ، وبهذا فاننا قدمنا دراسة برانية عن الشاعر وجوانية عن الطاقة المخزونة لديه وعن نتاجه .

فان كنا قد وفقنا للوصول الى مقتضيات البحث والى ما تطلعننا اليه من القاء الضوء على الشاعر خاصة فهذا ما نسعى اليه لخالص العلم ؛ وان كنا قد قصرنا في بعضه فالكمال لله وحده . " فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض " صدق الله العلي العظيم .

الهوامش :

- ١- الذيل والتكملة ٦ : ١٠
- ٢- رايات المبرزين ٧٤ وهو صاحب القصيدة المشهورة في ملك المرية - المعتصم بن صمادح :
لعلك بالوادي المقدس شاطئ
كالعنبر الهندي ما انا واطئ
- ٣- المصدر نفسه ؛ سير اعلام النبلاء ١٨ : ٦٠١
- ٤- الذيل والتكملة ٦ : ١٠
- ٥- بغية الملتمس رقم ٣٤٩ ص ١٥٢
- ٦- المصدر نفسه .
- ٧- الذيل والتكملة ٦ : ١١
- ٨- المصدر نفسه
- ٩- الاذماء : التعالي والتحفير
- ٩- مسالك الابصار ١ : ٢٨٢
- ١٠- في الذخيرة ٢ : ٧٠٨ ؛ مسالك ١١ : ٤٠١ لي سامرية

- ١١-مسالك الابصار ١ / ٢٨٣
 ١٢-في الذخيرة : ٧٠٨ . لي سامرية ، مسالك ١١ : ٤٠١
 ١٣-مسالك ١ : ٢٨٣
 ١٤-الذخيرة ٢ / ٧٠٦-٧٠٥
 ١٥-المصدر ٢/٧٠٩
 ١٦-المصدر السابق ٢/٧٠٦-٧٠٧
 ١٧-ابن بسام : الذخيرة ٥ : ٤٦٧-٤٦٨
 ١٨- (المصدر ٢ : ٢١٠-٢١٢) طبعة جامعة القاهرة ٢/٧٠٢-٧٠٤ / طبعة احسان عباس
 ١٩-الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ٨٧ - في الخريدة ٢ : ٢٧٦ (اذرنوش) ٢ : ٢٧٦ واقفة ومخلوقاتهما
 ٢٠-الافضليات ٧٦ - ٧٧ - في الخريدة ٢ : ٢٧٦ (اذرنوش) يسال دم
 * الدأ ماء : البحر
 ٢١-الذخيرة ٢ : ٧٠٩ - ٧١١
 .. العرمض : الطحلب
 ٢٢-الافضليات ص ٥٧ وسنمار : المهندس الذي بني القصر الشهير في اليمن وبعد ان اكمله سأله الملك هل يوجد مثله في البلاد .
 قال : لا فرماه من اعلى القصر لكي لا يبني غيره .
 ٢٣-المصدر نفسه ٧٦
 ٢٤-المصدر ٢ : ١٧٧
 ٢٤-الاحاطة في اخبار غرناطة ٢ : ٣٣٤
 ٢٥-المصدر ٢ : ٣٣٧
 ٢٦-المقتضب من تحفة القادم ١٢١
 المقري : فح الطيب ٤ : ٥٦
 ٢٧-الذخيرة ٢/٧٢٧
 ٢٨-الذخيرة ٢ : ٧٢٨
 ٢٩-مطمح الانفس ٣٣٨-٣٣٩
 ٣٠-ابن الابار : تكملة ١/٣٩٩
 ٣١-الذخيرة ٢ : ٢٩٢
 ٣٢-ابن قاضي شهبه ص ١٩

المصادر :

- * الاحاطة في اخبار غرناطة - لابن الخطيب السلماي م/٧٧٦هـ - ٤٠١ / تحقيق محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٧٤ .
 * اعمال الاعلام فيمن بويق قبل الاحتلام - تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال - دار المكشوف - بيروت ١٩٥٦ .
 * الافضليات - تاليف ابي القاسم علي بن انجب الصيرفي م/٥٤٢ - تحقيق - د. محمد وليد قصاب و د. عبد العزيز المانع - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٨٢ .
 * بغية الملتئم - للضبي . م / ٥٩٩ هـ . تحقيق كوديرا - مدريد ١٨٨٥ م .
 * تحفة القادم - لابن الابار القضاعي ابي عبد الله محمد بن عبد الله م/٦٥٨هـ - اختيار وتقييد ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي م/ق^١ - تحقيق ابراهيم الابياري - المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩٥٧ .
 * التكملة لكتاب الصلة - لابي عبد الله محمد بن الابار القضاعي م/٦٥٨ - تحقيق عزت العطار - القاهرة ١٩٥٥ .
 * خريدة القصر وجريدة العصر - للعماد الكاتب الاصفهاني م/٥٩٧هـ - قسم شعراء الاندلس ١-٢ - تحقيق عمر الدسوقي ود. علي عبد العظيم دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٩ - تحقيق اذرنوش ومحمد المرزوقي ومحمد المطوي - تونس ١٩٧١ - ١٩٧٣ .
 * الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة - لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني م/٥٤٢هـ - ق^١ ١-٢ / تحقيق عبد الحميد العبادي ، عبد الوهاب عزام ، عبد العزيز الاهواني ط لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ - ١-٨ / تحقيق الدكتور احسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٨ - ١٩٧٩ .
 * الذيل والتكملة - للمراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك - ج^٦ - تحقيق احسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٣ .
 * رايات المبرزين وغايات المميزين - لابي الحسن علي بن سعيد المغربي م/٦٨٥هـ - تحقيق غارثيا غومث - برشلونة ١٩٦٥ .
 * سير اعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن احمد الذهبي م/٧٤٨هـ ج^{١٨} - تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت ط^١ ١٩٨٦ .
 * طبقات النحاة واللغويين - لابن قاضي شهبه الاسدي - مخطوطة الظاهرية رقم ١٧٤٦٨ - مصورة في مكتبتي الخاصة (عدنان) .

- * فهرسة ما رواه عن شيوخه - لابي بكر محمد بن خير بن عمر الاشيلي م/٥٧٥هـ - تحقيق فرانشسكة قدارة زايدبن وتلميذه خليان ربيرا طراغوه - سرقسطة ١٨٩٣ - طبعة مصورة - دار الافاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩
- * المحمدون من الشعراء واشعارهم - للوزير جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي م/٦٤٦هـ تحقيق رياض عبد الحميد مراد - دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٨ .
- * مسالك الابصار - احمد بن يحيى بن فضل الله العمري م/٧٤٩هـ
- ج^١ تحقيق احمد زكي باشا - القاهرة ١٩٢٤ . ومخطوطة احمد الثالث اياصوفيا - رقم ٢٧٢٩ - مصورة في مكتبتي الخاصة .
- ج^{١١} مخطوطة احمد الثالث - اياصوفيا - رقم ٢٧٢٩ - مصورة في مكتبتي الخاصة .
- ج^{١٧} مخطوطة - باريس - Arabe.2327 - مصورة في مكتبتي الخاصة .
- * المغرب في حلى المغرب - لابي الحسن علي بن سعيد المغربي م/٦٨٥هـ - حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف ١-٢ / دار المعارف - القاهرة ١٩٥٥ .
- * نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب - تاليف الشيخ احمد بن محمد المقرئ التلمساني م/١٠٤١هـ - ١-٨ / تحقيق احسان عباس - دار صادر - بيروت ١٩٨٦
- * الوافي بالوفيات - تاليف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي م/٧٦٨هـ - ج^{٢٢} - باعثناء رمزي بعلبكي - فيسبادن ١٩٨٣ .
- * وفيات الاعيان - شمس الدين محمد بن احمد بن خلكان م/٦٨١ - ج^٥ - تحقيق د. احسان عباس - بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢ - ١٣٦٠٤ هـ